دور الطلبة في العمل السياسي

د. عبدالله فهد النفيسي

اصدار الهيئة التنفيذية
للاتحاد الوطني لطلبة الكويت
جمادى الآخرة ١٤٠٦هـ ـ فبراير ١٩٨٦
ـ الكويت ـ

دور الطلبة

في العمل السياسي

د. عبدالله فهد النفيسي

اصدار الهيئة التنفيذية
للاتحاد الوطني لطلبة الكويت
جمادى الآخرة ١٤٠٦هـ ـ فبراير ١٩٨٦
ـ الكويت ـ

بسم الله الرحمن الرحيم

اهـــداء

الى كل طالب ..

الى كل طالبة ..

الى الطلبة والشباب في كل مكان

نهدي هذه الرسالة

لتكون مساهمة في زيادة الوعي

الطلابي ، وتعريفهم بدورهم

في العمل السياسي ، وذلك

تحقيقاً لشعار المؤتمر العاشر

للاتحاد الوطني لطلبة الكويت

« نحو دور طلابي فعّال »

الهيئة التنفيذية

للاتحاد الوطني لطلبة الكويت

جمادى الآخرة ١٤٠٦هـ

فبراير ١٩٨٦م

مقدمة

○ الحمد لله والصلاة والسلام على سيدي رسول الله محمد بن عبد الله. وأشهد ألا اله إلا الله وأن محمدا عبد الله ورسوله، عليها نحيا وعليها نموت وعليها نبعث باذن الله

○ في زحمة الحملة الانتخابية لانتخابات مجلس الامة فاجأني الاخوة في الاتحاد الوطني لطلبة الكويت بدعوة لمحاضرة اتحدث فيها عن دور الطلبة في العمل السياسي. وبالرغم من ضيق الوقت ــ آنذاك ــ وكثرة المشغوليات المرتبطة بالدأب الانتخابي، فاني قبلت الدعوة والقيت المحاضرة في الاسبوع الثاني من ديسمبر ١٩٨٤ وكان تجاوب الطلبة مع المحاضرة وصداها مشجعا لي في فترة النقاش التي تبعتها.

○ من الجدير بالذكر ان أنوه هنا بأنه ــ ونظرا لضيق الوقت آنذاك ــ اكتفيت بالرجوع الى بعض المؤلفات ذات الصلة بالموضوع المتواجدة في مكتبتي الخاصة دون البحث عن مراجع اخرى. وكانت مؤلفات: د. حسن صعب **«ثورة الطلاب»** و د. حليم بركات **«الحركة الطلابية في لبنان»** و د. كامل السيد **«العمل السياسي: أصوله ووسائله»** خير معين في اعداد هذه المحاضرة.

○ سبق ان نشر الاتحاد الوطني لطلبة الكويت محاضرات لي منها **«العمل النسائي في الكويت: الواقع والمرتجى»** و **«مستقبل الصحوة الاسلامية»** وها هو ينشر هذه المحاضرة الثالثة التي ارجو ان ينفع الله بها عموم الطلبة في الكويت وفي غير الكويت من بلاد العروبة والاسلام.

د. عبد الله فهد النفيسي

الكويت /الخميس ٢٨ ربيع الآخر ١٤٠٦هـ ٩ يناير١٩٨٦م.

دور الطلبة في العمل السياسي

د. عبد الله فهد النفيسي

العمل السياسي والموقف منه:

■ «دورالطلبة في العمل السياسي» مزعج هذا العنوان، ضرب من ضروب التحريض هذا العنوان، تغرير بالطلبة ربما، قد يقول قائل: احذروا هذا الكلام واحذروا من قائله، عديدة الجهات السياسية والاجتماعية في الكويت وغير الكويت التي لا ترغب في الحديث ـ بمجرد الحديث ـ عن هذا الموضوع. فالدولة ترغب ان ترى الطالب ولمدة تتجاوز العشر سنوات وربما خمسة عشر عاما في معتقله الاليف ـ المدرسة ثم الجامعة ـ وذلك تحت مبرر تلقي العلم. اصبحت المدارس والجامعات بالنسبة لكثير من الدول العربية ـ ومنها الكويت ـ وسيلة من وسائل التنشئة السياسية المتوافقة مع خط الدولة الرسمي، هي جزء من عملية التطبيع السياسي المتدرج الكامن الخفي للطالب. ودعوة الطلبة للعمل السياسي قد تنظر اليه الدولة ـ اية دولة وليست فقط الكويت ـ على انها دعوة تؤدي في التحليل النهائي الى تفشيل المشروع الرسمي في التنشئة السياسية الرسمية للطالب. هذا من جهة ومن جهة ثانية فان دعوة الطالب للعمل السياسي والمشاركة

فيه قد تنظر اليه الدولة ــ أية دولة وليست فقط الكويت ــ على أنه يعني تعريض هذا الطالب لرياح الفكر والموقف والانتماء الذي قد لا يتوافق في محصلاته العامة مع السياسة الرسمية في خطوطها العريضة. لهذا نجد كثيراً من الرسميين والساسة العرب ــ وعندما يلتقون بالوفود الطلابية ــ يؤكدون دائما اهمية التفرغ لـ «انتهال العلم» ولو كان بين هؤلاء الساسة والعلم عداوة تاريخية. القصد هو ابعاد هذا الجسم السكاني الحي المتوثب عن دائرة السياسة وبالتالي تسهيل عملية التسلط وتيسيرها امام الساسة العرب. والمؤسسة الدينية الرسمية تنزعج من دعوة الطلبة للعمل السياسي: فالاسلام ــ بالنسبة للمؤسسة الدينية الرسمية في العالم العربي والاسلامي ــ هو الخلق القويم والهدوء وطاعة اولي الامر ــ يعني الحكومة ــ واي دعوة للمشاركة في العمل السياسي هي دعوة للتخلي عن الخلق القويم ودعوة للصخب ودعوة للفتنة والتمرد. والعائلة ــ من حيث هي مؤسسة تقليدية راسخة ــ ضد اي دعوة من هذا النوع لان السياسة وعالم السياسة بالنسبة للآباء والامهات هي دعوة للخطر ودعوة للتلوث وخراب البيوت. هذا الموقف السلبي تجاه السياسة والعمل السياسي ــ وبالذات حين يطرح دور الطلبة في العمل السياسي للنقاش هو جزء لا يتجزأ من تركيبة الجهل

والتخلف ومعوق فعلي من معوقات الديموقراطية في العالم العربي. والدول العربية تقاوم انخراط الطلبة في العمل السياسي وتضع لذلك الميزانيات وتقيم الاجهزة وتنفق عليها اكثر بكثير من مكافحتها للمخدرات والجريمة.

■ ونسأل: هل نستطيع ـ طلبة وغير طلبة ـ ان ننعزل عن السياسة والعمل السياسي؟ ينبغي ان ندرك انه حتى لو قررنا بل وعقدنا العزم على ترك السياسة واعتزالها، فانها لن تتركنا. لماذا؟ لان السياسة هي الادارة العامة لشؤون الناس، وهذه الادارة اما أن تؤدي الى عدل او الى ظلم. والقرار السياسي ـ في النهاية ـ هو الذي يحدد طبيعة التعليم الذي نتلقاه، وطبيعة الطعام الذي نأكله وطبيعة المسكن الذي نسكنه وطبيعة الطريق الذي نعبره، وطبيعة الجريدة التي نقرؤها وطبيعة المذياع الذي نسمعه وطبيعة التلفاز الذي نشاهده وكمية الدراهم التي نحملها في المحفظة. نحن مادة القرار السياسي الذي يتخذه الامير او الملك او الرئيس. نحن المعنيون به. نحن ضحاياه او فرسانه. عليه اذن، فالقرار السياسي ليس شيئا منعزلا عنا، لا يؤثر فينا، او يتجاوزنا او يتخطانا. انه قرار لنا او علينا ولا وسطية في هذا الامر. ومجالس الوزارات والوزراء وهذه الجيوش الادارية وهذه الوزارات ما هي الا ادوات لتنفيذ القرار السياسي ونقله من

كونه فكره تتأرجح في رأس الامير او الملك او الرئيس الى واقع نعيشه في البيوت. وحيث أن أمر السياسة والقرار السياسي يمسنا الى هذه الدرجة، فينبغي ان ندرك بأن مصلحتنا تقتضي عدم اعتزال السياسة، بل تقتضي مراقبتها والمشاركة فيها باتجاه يضمن ان يكون القرار السياسي متمشيا مع المصالح العليا للوطن، فالوطن ليس شعرا ولا نشيدا ولا بيرقا مطرزا ولا عرضا **إنما الوطن هو الامن والخبز والحرية والمساواة وكل ذلك في اطار من المشاركة السياسية**، فالامن وحده لا يصنع الانتماء للوطن لان حظيرة الخنازير فيها أمن، والخبز وحده لا يصنع الانتماء للوطن لان كل مواخير العالم فيها خبز، والحرية وحدها لا تصنع الانتماء للوطن لان كل ادغال العالم واحراشه فيها حرية، والمساواة وحدها لا تصنع الانتماء للوطن لان كل سجون العالم ومعتقلاته فيها مساواة.

□ لعله من المفيد هنا ان نؤكد بان احد اهم العوامل التي ادت الى سقوط الامة الاسلامية في براثن الانحطاط الحضاري والسياسي بعد صدر الاسلام هو اعراضها واهمالها لشؤون الحكم والمجتمع وتوجهها ــ بل وغرقها ــ في الشعر والكلام والفقه والفلسفة وكل الفضائل النظرية والاهتمامات اللفظية. بتعبير اوضح فان المسلمين ابتعدوا عن الواقع والعمل على

تصحيحه ليهتموا بعالم الافكار والتصورات. لقد تركوا امر الحكم وادارة المجتمع وصيانة امنه ومستقبله، تركوا كل ذلك ليقع بايدي افراد وفئات اقل ما يقال عنها انها غير كفوءة وعديمة التقوى ومنافقه وذليله. وهكذا اصبح الحكم وشؤونه والعمل السياسي وقضاياه ــ وعلى مر القرون من تاريخ الامةــ منافيين للفضيلة والتقوى ومرتبطين بالقهر والتزوير والنفاق، ولذلك اصبح الناس في عمومهم يتجنبون التورط في السياسة والعمل السياسي. ان من اخطر الانتكاسات في تاريخنا الاسلامي ابتعاد الفضلاء والطيبين والشرفاء عن الشؤون السياسية، وتكالب السفهاء والاشرار والخونة عليها.

□ يوما إثر آخر تزحف الدولة ــ من حيث هي مؤسسة سياسيةــ باتجاهنا حتى اصبحت تشاركنا في بيوتنا، فصوتها مسموع يهدر عبر التلفاز والمذياع، وهي كاملة الحضور في كل حي من احيائنا. في سالف الايام كان الحاكم ــ ملكا كان أو أميراــ يهتم فقط بجمع الضرائب من الرعية، وكانت القبائل والعشائر العربية ترسل له جنودا لحراسة ثغوره وحماية عرشه من المتمردين والطامعين. كان ذلك يرضي الملك الدولة، فيكف عن التدخل في تفاصيل حياة الناس، عموم الناس. كان التجار يجلبون البضائع و يبيعونها باسعار تحددها السوق. وكان الآباء يربون اولادهم و يؤدبونهم كما يشاؤون،

والقضاة يفصلون بين الناس بوحي من الضمير، ورجال الدين يدرسون في الحلقات والمساجد والدور. وكان الناس يعيشون على الفطرة والسليقة وطبقا للتقاليد الدينية والمحلية ولم يكن هناك من داع للتدخل في السياسة لانه ليس ثمة سياسة او عمل سياسي.

□ أما اليوم فقد اختلف الامر.. فسواء كانت الدولة شرقية ام غربية، فاشية ام شيوعية ام ديموقراطية سياسية، فانها جميعها بات يتحكم في كل صغيرة وكبيرة من شؤون البلاد الدولة المعاصرة. باتت تتحكم بشكل مباشر وغير مباشر بحياة ومصير المواطن منذ لحظة الولادة حتى لحظة الوفاة. كل حياة الانسان، كل مسيرته ـ من الولادة الى الموت ـ تحكمها قوانين الدولة ومؤسسات الدولة اي السياسة. بمعنى آخر باتت حياة الانسان تابعة للسياسة اي للدولة. حتى الدين فان الدولة المصرية تريد اخضاعه وتوظيفه وتجييره لصالح السياسات الرسمية ولدعم الخط السياسي الرسمي. لذا اقول وفي كل وضوح اما ان يتحكم الدين ومقرراته بالسياسية اي بالدولة واما ان تتحكم السياسة اي الدولة بالدين. اما هذا او ذاك ولا ارى طريقا آخر. من اجل ذلك نرى ان الدول ـ خاصة في منطقتنا العربية والاسلامية ـ تولي اهتماما ظاهرا بالشؤون الدينية من اجل توظيفها في مسارات تخدم في

النهاية السياسات الرسمية التي قد تكون في كثير من الاحيان مناقضة لجوهر الدين ومقصودة. وبعد كل هذا هل يحق لنا ان نقف من السياسة موقف الحياد او الاعتزال؟ وهل يجوز لنا شرعا ان نرى الظلم وترويج الالحاد والفساد المتستر بالقوانين الرسمية في الدولة العصرية ونسكت بحجة ان ذلك من السياسة؟ لقد اصبحت مقتنعا تماما بان أحد أهم الاسباب التي ادت الى الانتكاسات في تاريخنا هو ابتعاد الفضلاء والطيبين والشرفاء عن الشؤون السياسية، وتكالب السفهاء والاشرار والخونة عليها. فهلا نصحح ما ارتكبناه تحت شتى المبررات؟

مفهوم العمل السياسي:

■ لو حاولنا ان نحدد مفهومنا للعمل السياسي لقلنا انه يتكون من ثلاثة عناصر: تنظيم + فكر + جماهير. فالعمل السياسي لا يمكن ان يكون جادا ومثمرا ومستمرا الا بناء من خلال عمل تنظيمي وعمل فكري وفي وسط جماهير. تفاعل هذه المكونات الثلاثة هو الذي يؤدي الى مركب العمل السياسي بعد توفر هذه المكونات الاساسية تبقى مهمة توجيهها لتقوم بالآتي: تحديد علمي لمشاكل الجماهير وطرح موضوعي للحلول وقدرة علمية على مناقشة الاختيارات المتاحة وقدرة حركية على تنظيم الجماهير (الرأي العام) وتعبئة القوى وتحريكها

لتنفيذ الحلول. ويخطىء من يظن ان العمل السياسي هو التصدي فقط للقضايا ذات الصبغة السياسية المباشرة كالحروب والحركات السياسية والاحزاب وتأييد منظومة سياسية ضد اخرى واصدار بيانات الاستنكار والشجب ضد جهة معينة او اثر حادث محدد، بل نقول ان اي مبادرة في اتجاه حل اية مشكلة تعاني منها الجماهير يمكن اعتبارها من صلب العمل السياسي. فشيوع الامية والمرض والفقر وعدم وجود شبكة طرق وتخلف الوعي العام وغيره، كلها مشاكل تعاني منها الجماهير العربية والاسلامية. وكل مبادرة في تخفيض نسبة الامية، وكل محاولة في التوعية الصحية الوقائية، وكل خطوة في تدريب الجماهير على المهن والحرف والمهارات، وكل ساعة نقضيها في رصف الطرق وتعبيدها، وكل جهد صحفي او اذاعي يهدف للارتقاء بالوعي العام، كل هذه الجهود هي من صلب العمل السياسي. هذا التحديد لمشاكل الجماهير وهذا التحديد للحلول وهذه القدرة على التحرك في اتجاه الحلول، هذا كله هو العمل السياسي في مفهومه العلمي.

■ لقد حددنا آنفا مكونات العمل السياسي وقلنا بانها ثلاثة عناصر: تنظيم + فكر + جماهير، اي عمل تنظيمي وعمل فكري وفي وسط الجماهير التي هي مادة العمل السياسي. لكن كيف تتفاعل هذه المكونات الثلاثة؟ لا بد لهذا

التفاعل من مقومات. ومن له الاولوية والاسبقية والتقديم: التنظيم ام الفكر ام الجماهير؟ هذه معضلة يواجهها معظم الناشطين سياسيا. من الصعب الاجابة على هذا السؤال ذلك ان الاتفاق على اسبقية طرف من اطراف هذا المثلث من الامور شبه المستحيلة، فبعضنا ترتفع عنده القدرة التنظيمية لدرجة تدفعه للاعتقاد بان التنظيم هو القضية، وبعضنا تغلب عليه الصفة او النزعة التجريدية فتدفعه الى الاعتقاد بان المعضلة تكمن اساسا في الفكر السياسي، والبعض الثالث يموج مع الجماهير أني ماجت فيعتقد انها سيدة الموقف. والحقيقة العلمية تقول ان التنظيم بلا فكر ولا جماهير هو عبارة عن اعيرة نارية تطلق في الهواء، فهل تصيب هدفا اعيرة كهذه؟ اشك في ذلك.. والحقيقة العلمية تقول ان الفكر بلا تنظيم ولا جماهير مثل حزمة من الورد تضعها على قبر فلا هي اسعدت صاحب القبر ولا هي افرحت واحدا من الاحياء. والحقيقة العلمية تقول ان الجماهير بلا فكر ولا تنظيم هي كالهشيم الذي تذروه الرياح في كل اتجاه. من هنا ولاجل ذلك كان لا بد من مقومات تضبط التفاعل بين المكونات الثلاثة للعمل السياسي، والهدف من هذه المقومات هو التأكد من توظيف كل من التنظيم والفكر والجماهير توظيفا سياسيا مدروسا وسليما. ونحب ان نؤكد هنا بأن التنظيم والفكر

والجماهير التي لا ترقى لهذه المقومات يصبح من الصعب عليها ان تحقق هدفا محرزا في عالم السياسة وما يعيش من صراعات.

■ تتلخص هذه المقومات بنقطتين اساسيتين: ديموقراطية التنظيم وجاهيرية العمل السياسي المزمع القيام به. فديمقراطية التنظيم المقصود بها الوصول الى صيغة تنظيمية ديموقراطية تضمن اختيارا ديموقراطيا لمستويات التنظيم واحترام الاقلية لرأي الاغلبية، وممارسة النقد والنقد الذاتي، وكذلك مرتبط بمفاهيم تهدف الى تحقيق المصالح العليا لجماهير. وتقاس ايضا ديمقراطية التنظيم ونجاحه سياسيا بقدرة التنظيم على التعبير الامين عن المصالح الحقيقية للقواعد العريضة للجماهير وهو ما نسميه بجماهيرية العمل السياسي، من خلال ديموقراطية التنظيم وجاهيرية العمل السياسي تستطيع مكونات العمل السياسي الثلاثة ان تتفاعل بشكل ايجابي. تبقى مسألة اخرى غاية في الدقة وهي تحديد الخط السياسي للعمل السياسي اذ لا بد لاي عمل سياسي من خط سياسي بموجبه تتحد الاستراتيجية والتكتيك. فالاستراتيجية هي عملية تحديد الاهداف البعيدة والحيوية وهي عبارة عن خطة بعيدة المدى وتحديد القوى الاجتماعية المختلفة وموقفها. اما التكتيك فهو تحديد المهام اللازمة في كل مرحلة وعملية تحريك القوى

المختلفة في مرحلة محددة وكذلك الخطط والاشكال التنظيمية اللازمة لكل مرحلة من المراحل تبعا للظروف السائدة وطبيعة المرحلة. هذا ـ باختصار ـ هو مفهوم العمل السياسي: المكونات الرئيسية له (التنظيم، والفكر، والجماهير) ومقومات التفاعل بينهما التي تتلخص بنقطتين اساسيتين هما (ديموقراطية التنظيم وجماهيرية العمل السياسي) وبعد كل ذلك تحديد الخط السياسي وما يستلزم من تفكير على مستوى الاستراتيجية والتكتيك.

الطلبة والعمل السياسي

■ لقد فشلت الاحزاب والنقابات والتشكيلات الاخرى في العالم العربي ان تلعب دورا أساسيا في تغيير الواقع العربي المؤسف، لذلك يتساءل الكثيرون بشيء من اللهفة : هل يمكن للحركة الطلابية في العالم العربي أن تتخذ المبادرة في فرض التغيير السياسي في المنطقة من خلال انخراطها ــ كحركة ــ في العمل السياسي؟ وهل يشكل الطلبة فعلا نواة حديثة منظمة وفعالة وقادرة على الاستمرار وتحمل رؤية للمستقبل وتعمل في وسط جماهير لتحقيق هذه الرؤية؟ أي هل الحركة الطلابية مؤهلة لان تلعب هذا الدور في احداث ثورة حقيقية في الواقع العربي؟

■ لاشك بأن ثمة عوامل تشجعنا على القول أن الطلاب من أهم العناصر التي لديها قابلية لتبني التغيير الشامل للواقع العربي، بالرغم من وجود عوامل عديدة تعيق قيام حركة طلابية منظمة وفعالة وعلى مستوى العالم العربي. ومع ذلك نستطيع القول أن الطلاب هم الكتلة الاجتماعية المرشحة لتحقيق التغيير، للاسباب التالية :

١ ــ ثبت تاريخيا أن الطلاب لعبوا بالفعل دورا مهما خلال القرنين الاخيرين في اطلاق حركات تغييرية عديدة في جميع انحاء العالم. فلقد شكل الطلاب عنصرا أساسيا في

ثورات ١٨٤٨م في المانيا والنمسا. فقد ذهبت مظاهراتهم بحكم بيرون في الارجنتين عام ١٩٥٥م، وأسقطت جينيز في فنزويلا عام ١٩٥٨م، وصمدت لحكومة لديم صمودا ناجحا في فيتنام ١٩٦٣م، ونسفت حكومة راي ني كوريا الجنوبية عام ١٩٦٠م، وأكرهت ايزنهاور على أن يلغي زيارته لليابان في العام نفسه، وقوضت حكومة ابراهيم عبود العسكرية في السودان عام ١٩٦٤م، وزعزعت حكومة سوكارنو في اندونيسيا عام ١٩٦٦م، وهددت قادة الحكم وأنظمة الحكم عام ١٩٦٨م وفي احداث مايو في كل من الولايات المتحدة وفرنسا والمانيا وايطاليا واسبانيا والبرازيل والاورغاوي والسنغال والمكسيك وتركيا، واستطاعت في العام نفسه أن تفرض على نظام الحكم في مصر تغييرا اداريا ووزاريا وان تحمل الحكومة في لبنان على انشاء الجامعة اللبنانية.

٢ ـ أحيانا يقال بأن الطلبة ـ بمفردهم ـ لا يمكن أن يحققوا تغييرا شاملا في أي مجتمع بمعزل عن باقي القوى السياسية، ربما يكون هذا صحيحا وما يصدق على الطلبة يصدق ايضا على العمال في المجتمعات الصناعية الرأسمالية وفي العالم الثالث ايضا. ففي المجتمعات الصناعية الرأسمالية صارت النقابات العمالية ـ الى حد بعيد ـ جزءا من النظام الرأسمالي، وأصبحت النقابات في بعض تلك المجتمعات

حركات محافظة. أما في العالم الثالث فنجد أن العمال كأفراد مازالوا مرتبطين ـ وبوضوح ـ بالمؤسسات التقليدية المحافظة ولا يحملون وعيا طبقيا ينعكس على سلوكهم السياسي. من هنا نفهم تشتت النقابات العمالية وتعددها وعدم تضامنها في تحقيق ولو نتائج جزئية من براعجها. والطلبة هم اكثر القطاعات قدرة على فهم أهمية الجبهوية كاطار للعمل السياسي المرحلي.

٣ ـ ومايقال عن العمال ايضا يصدق على الفئات الاخرى ـ كالفلاحين وبعض الاقليات والنساء من حيث الارتباط بالمؤسسات التقليدية وعدم الوعي للحقوق العامة في اطار الوضع العام. لاتزال هذه الفئات غير مدركة أن تعاستها ناتجة من وجود نظام سياسي اقتصادي عام يحرمها بشكل مباشر وغير مباشر من حقوقها وحرياتها. والطلبة هم اكثر الناس ادراكا لهذه العلاقة بين الحقوق العامة والنظام العام.

٤ ـ قطاع الطلاب في كل المجتمعات يتزايد و يتضاعف يوما اثر آخر، كذلك تزداد المدة التي يمضونها كطلاب. بالاضافة الى ذلك حيوية الطلاب كشبان وتعاملهم الجاد مع الافكار والمفاهيم والرؤى السياسية وتحررهم من أعباء الوظيفة والمعيشة وسهولة تنظيمهم والاتصال فيما بينهم.

٥ ـ ان الطلاب هم اكثر الفئات مقدرة على التحرر

الاجتماعي من الخلفيات العائلية والطبقية والاقليمية. والشواهد على ذلك كثيرة. ونقصد بالتحرر الاجتماعي الادراك بأن واقع المجتمع العربي الحالي هو واقع هزيل وغير عادل وضد الانسان. وبما أن الواقع الذي نعيشه ضد الانسان فان الذي يعمل من أجل الحفاظ على تراكيب هذا الواقع وصوره ورموزه لا يمكن ان يكون انسانا حرا. ان الطلاب هم اكثر القطاعات قدرة على فهم هذا الجانب السلبي للواقع الذي نعيشه في العالم العربي وبالتالي يصبحون اكثر قدرة على التحرر منه.

■ من جهة اخرى ورغم هذه الخصائص البنيوية في قطاع الطلبة وهي خصائص تساعد الطلبة على الانخراط في العمل السياسي، الا أنه هناك أيضا على الجانب الآخر عوائق تحول دون فاعلية الطلبة السياسية. تلك هي:

١ ــ الغالبية العظمى من الطلبة لا تهتم بالقضايا العامة. هناك دراسات ميدانية تبين لنا ان نسبة الطلبة الذين يشتركون في نشاطات سياسية بشكل منتظم ومستمر تتراوح بين ٤ ــ ٨ بالمائة فقط. لذلك طبعا اسبابا كثيرة ليس هنا المجال للخوض فيها، لكن يكفينا ان نقول بأن نسبة صغيرة كهذه تعيق انخراط الطلبة في عمل سياسي كبير وعام.

٢ ــ من الملاحظ ان الطلاب لا يؤلفون وحدة يمكن

تسميتها حركة، بل واضح تماما ان الطلاب يؤلفون مجموعة من الحركات المتناقضة. تتضح هذه الحقيقة الموضوعية خلال الاضرابات، فالانقسام في المطالب يعود الى انقسام اساسي في تركيب الحركة الطلابية وخلفية الطلاب واتجاهاتهم.

٣ ـ العائق الثالث ان قسما كبيرا من الطلاب الناشطين يرتبطون باحزاب وتنظيمات وحركات خارج الجامعات وليس من خطأ في ذلك ابدا فتلك طبيعة الروابط السياسية، لكن الخطأ يتولد عندما تكون هذه الروابط على حساب الحركة الطلابية ووحدتها وتلاحمها.

٤ ـ عدم وجود تراث فكري سياسي جذري يشكل نظرية كلية عامة لتحرك طلابي سياسي مرتبط بالأمه ومعتقداتها ويضع للطلاب نظرية في العلاقات الشعبية والعلاقات بين القوى السياسية في المجتمع الواحد.

٥ ـ النظام التربوي نفسه ومضامينه السياسية يعكس التفسخ الاجتماعي و يزيد من هوة هذا التفسخ. والمعرفة التي يتلقاها الطلاب في المدارس والجامعات لا تتصل بتلك المعرفة التي تحرر الانسان من الواقع المزيل غير العادل، بل على العكس انها تكرس هيمنة هذا الواقع على الطالب وتستحث الطالب ان يعلن ولاءه وتبعيته لذلك الواقع المضاد للانسان.

ماذا يقول الميدان؟

■ تؤكد الدراسات الميدانية للحركات الطلابية أن الجامعة تلعب دورا اكبر في توجيه الطالب سياسيا من الطبقة الاجتماعية. ويلاحظ ان المظاهرات السياسية تصدر غالبا عن طلاب كليات الحقوق الذين يميلون الى المشاركة في الصراع السياسي اكثر من سواهم، ربما لان نسبة عالية من زعماء الاحزاب السياسية في العالم هم من الحقوقيين. لكن طلاب كليات العلوم الاجتماعية والانسانية هم الآن في الجامعات الغربية نواة أي تحرك سياسي للطلبة.

■ كما تؤكد نفس هذه الدراسات على أهمية الدور الذي يلعبه الاساتذة الجامعيون في التنشئة السياسية للطلاب الجامعيين. ويمكننا هنا أن نعود الى أيام أفلاطون الذي أنشأ الاكاديمية في أثينا في القرن الرابع قبل الميلاد لتكون مركزا لنقد النظم السياسية وللبحث عن نظم أفضل. ولذا طرح كتاب «الجمهورية» ونوقش الكتاب من طرف طلبته وأخذوا يبشرون بأفكاره في باقي المدن اليونانية، بل منهم من نظم الانقلابات العسكرية في بعض المدن اليونانية لتطبيق نظرية أفلاطون في الدولة. ابن رشد الفيلسوف العربي في العصر الوسيط وطلابه في الجامعات الاوروبية الذين كانوا في القرنين الثالث عشر والرابع عشر رواد الثورة العقلانية

الاوروبية مثل آخر.

وأبرز مثل في العصر الحديث استاذ الفلسفة في جامعة برلين جورج هيجل (١٧٧٠ ـ ١٨٣١م) الذي تعلم منه طلابه ومنهم كارل ماركس المنطق الديالكتيكي فتزودوا بأقوى آلة منطقية لنقد النظم السياسية. و يبرز في هذا المجال ايضا هربرت ماركيوزصاحب كتاب «الانسان ذو البعد الواحد» ومعروف ان ماركوز كان الاب الروحي لثورة الطلاب في ١٩٦٨م في الجامعات الفرنسية والاميركية وهي ثورة ادت في النهاية لسقوط ديجول. طبعا هذا لا يعني ان الجامعات كانت دائما منارة للاساتذة المفكرين وحدهم، فهي ـ أي الجامعات ـ خاصة في منطقتنا العربية حافلة بالاساتذة الذين ليس لهم من الفكر الا قوة الذاكرة.

■ واضح من خلال متابعة الطلبة كحركة أن حيويتها ـ أي تلك الحركة ـ مربوط بنوعية القيادة السياسية التي تتعامل معها. فاذا كانت القيادة السياسية في أي بلد قيادة حركية وخلاقة وسباقة الى تعهد مشاكل المجتمع الحقيقية، فان الطلبة يفضلون ـ في هذه الحالة ـ التفرغ للحركية العلمية لا السياسية. أما اذا كانت القيادة السياسية سكونية، أو مقلدة، أو سلحفائية، فان الطلبة في هذه الحالة دائما يعبرون عن الضجر العام في المجتمع و يتحولون من الحركية العلمية الى

الحركة السياسية.

■ لقد أفرزت الحركة الطلابية في الجامعات الاوروبية والاميركية بعض القيادات الطلابية البارزة في عالم الرفض والتمرد. فبيتر براندت ابن المستشار الالماني السابق ثار على النظام الديمقراطي الالماني المتأرجح بين الليبرالية والاشتراكية. ودانيال بنديت الذي برز في قيادة الطلاب الفرنسيين هو اكثر القادة تحدثا عن ضرورة قلب المجتمع البرجوازي واستعمال القوة ضد مراكز الاستغلال وينادي برفض الديجولية والشيوعية معا. ويؤكد دافيد ارلشتاين احد قادةالحركة الطلابية في جامعة لندن على أهمية التآخي بين الطلاب والعمال في كل كتاباته ويرفض فكرة الطليعة التي تقود ويفضل العمل السياسي العفوي الذي يهيج القاعدة الطلابية والذي يؤدي الى مزيد من التحريك العفوي ويرى مثل ــ دوبريه ــ في كتابه: «الثورة داخل الثورة» أي العمل يجب أن يسبق الايديولوجية وأن العمل هو الذي يصنع الايديولوجية. أما توم هايدن وهو أحد مؤسسي الحركة الراديكالية الاميركية فهو يميل الى الفكر الفوضوي الذي لا يؤمن بشرعية السلطة السياسية. أما رودي دوتشكيه فقد أعلن رفضه المطلق لفكرة الالتحاق والتجنيد العسكري الالزامي لان الفكرة في حد ذاتها ــ وفقا لرأيه ــ تعطي النظام السياسي

المعاصر الذي يعارضه ذخيرة كبيرة من الاعتراف الشعبي التي لا يجب ان يتمتع بها. وقد حرك رودي دوتشكيه الطلبة في المانيا وصنع حركة طلابية لها وزنها السياسي في المانيا لدرجة دفعت بعض الجهات هناك ـ ولعدة مرات ـ للتآمر على اغتياله. أما كارل ديتريش وولف الذي يتكلم بالاضافة الى لغته الام الالمانية الانكليزية والفرنسية والبرتغالية فقد ركز على انتقاد الصحافة الغربية كما تمارس في ألمانيا الغربية لانها ـ على حد تعبيره ـ ليست اكثر من حق الاغنياء والاحتكارات بأن تبيع افكارها.

■ تجربة طلبة السوربون عام ١٩٦٨ ـ ١٩٦٩م كانت حديث العالم كله. لقد احتلوا مباني الجامعة واعتصموا بها وتقدموا بمطالبهم التعليميه والسياسية. وأدى انتشار حركة احتلال الجامعات في بريطانيا ـ وقد كنت وقتها طالبا في جامعة كمبردج ـ الى مفاوضات بين الاتحاد الوطني للطلاب والحكومة قدم فيها الاتحاد مطالب اصلاحية وأعطى الجامعات مهلة ستة اشهر لاعتمادها وهذه المطالب هي:

١ ـ تمثيل الطلاب في جميع اللجان الجامعية المسؤولة.

٢ ـ استقلال المنظمات الطلابية استقلالا تاما عن ادارة الجامعة.

٣ ـ تعديل المنهج الدراسي جذريا على وجه يجعل جميع

الدروس المعطاة معبرة عن حاجات المجتمع.
٤ ـ تعزيز النصح المهني للطلاب.
٥ ـ مساعدة الطلاب على ايجاد عمل بعد التخرج.
٦ ـ تخفيض سن الانتخاب الى ١٨ سنة.

لقد استجابت جامعة كمبردج لمعظم هذه المطالب بدون مظاهرات ولا اضرابات وأذكر أن أريك أشبي نائب رئيس الجامعة آنذاك قال مفاخرا للصحافة: لقد سبقنا في هذه الجامعة الرأي العام فبدلا من أن نلحق به فهو الان يلحق بنا. وما حدث في باريس يمكن ان يحدث هنا، فلماذا لا نسبق الاحداث ونتبنى هذه المطالب المعقولة؟

■ من أبرز المواضيع التي حركت الساحة الطلابية على مستوى العالم وعمقت من توغل الطلبة في العمل السياسي هي الحرب الفيتنامية. لقد كان الطلاب الاميركيون هم أكثر القوى الاجتماعية الاميركية فعالية في معارضة التدخل العسكري الاميركيين في فيتنام. لقد أجبر الطلاب الاميركيون الرئيس جونسون على أن يفتتح مفاوضات السلام مع فيتنام الشمالية بعد أن حشدوا صفوفهم في انتخابات الرئاسة الاولية في نيوهامبشاير في مارس ١٩٦٨ ونصروا خصمه الشيخ يوجين مكارثي الذي اعتمد اعتمادا سياسيا كبيرا على الطلبة أدى في النهاية الى انسحاب جونسون من

الترشيح للرئاسة. وكان الاعتقاد السائد قبل الانتخابات أن الرئيس جونسون السياسي البارع لا يمكن ان يقهر أو يهزم، لكن الطلبة قهروه وقهروا سياساته وقهروا معظم الساسه التقليديون.

ولقد كتب نورمان ميللر ــ الروائي الشهير ــ كتابه: لماذا نحن في فيتنام؟ ليعبر عن فحوى الحركة الطلابية وموقفها من هذه القضية لقد أوضح ميللر في هذه الرواية الكثير من مكونات الحركة الطلابية الاميركية وازدراء تلك الحركة لآثام المجتمع البرجوازي التي لا تجد لها متنفسا الا بالحرب وفوق رؤوس الشعوب البعيدة. يرى ميللر أن مأساة هذا التدخل هي مأساة البرجوازي الناجح الذي يجنح لاقتراف الاثم الفظيع الخفي. و يؤكد ميللر أن أهم هاجس يشغل العقل البرجوازي هو الفعالية. ويجسد جونسون بسياسته في فيتنام هذا الاندفاع الجنوني في سبيل الفعالية. ولا يهمه ما تسفر عنه هذه الفعالية بقدر ما يهمه أن تظل الآلة متحركة. لذلك ــ يقول ميللر ــ أن أميركا مهددة ــ في حالة استمرارها على هذاالنهج ــ بأن تصبح كلها آلة متحركة بدون روح. كان ميللر في روايته المذكورة يتكلم باسم ضمير الحركة الطلابية الأميركية.

■ ونسأل ماهي الأزمة التي تفجر كل هذا التحرك الطلابي

الضخم في الغرب؟ يجيب أنديه مالرو أننا في الغرب لا نستطيع ان نعطي هؤلاء الطلاب الامل. يقول مالرو أن الغرب يعاني من أزمة كبيرة للغاية، ليست فقط أزمة نظام سياسي بل أزمة حضارة في الأساس. لقد بلغت الحضارة الغربية ــ يقول مالرو ــ درجة من القدرة لم تعرفها أية حضارة من قبل، ولكن القدرة الحضارية اقترنت بالماضي بوعي حضاري ذاتي، برسالة عالمية ودور عالمي أما قدرة الحضارة الغربية الحالية ــ يقول مالرو فانها تنمو في فراغ وبدون وعي حضاري ذاتي، وبدون رسالة وبدون دور عالمي. هذا الفراغ هو الذي يفجر بركان الطلاب. انها أزمة حضارة اذن بالنسبة اليه. ويلتقي هربرت ماركيوز في وعي الأزمة هذا الوعي اليائس كما طرحه مالرو، لكن ماركيوز يطلب الأمل ويركز تحريكه على الطلبة الذين كادوا يفقدون الأمل. من هنا كان ماركيوز ملهم الحركة الطلابية العالمية وهو الذي يحرضها على الفعل السياسي من أجل تصحيح مسار الحضارة الغربية. ماركيوز يعتقد ان الطلبة هم مادة وآلة التغيير المطلوب اليوم في العالم أجمع، وأنا أتفق معه في هذا الخصوص.

مع تحيات الهيئة التنفيذية للاتحاد الوطني لطلبة الكويت ـ فبراير ١٩٨٦